ثم تبكيني بدموع مُخْلِصه. لا يا «هرمز»، لا تدفعْني إلى ارتكاب الخطأ نفسه مرّتينْ، فلن تغفر لي «السماء» إخفاقاً جديداً.

ـ لقد قلتَ لي يوماً إن حكم «النور» لم يتمكّن من التصاقب مع حكم «شاهبور»، ولقد رجوتُ أن يتصاقب مع حكمي.

ـ ليس الأمرُ أمرَك يا «هرمز» ولا هو أمر «شاهبور» ولا أمري. فالذنبُ ذنبُ هذا العصر. ففي كل مكان ينتصب حولنا أتباع الآلهة المتعصِّبين وأنا أحمل صوت الربوبية السَّمْحة. ولسوف تكون ديانتي، زمناً طويلاً بعدُ، ديانةَ حفنةٍ من «المختارين» الزاهدين في متاع هذا العالم. ولن يكن في مقدور «الإمبراطورية» اعتناقُها. غير أنه بإمكاننا أن نبني كثيراً من الأشياء معاً إذا تمسّك كلّ منا بالدور الخاصّ به. إذا حكمتَ بالعدل، وتصرّفتَ لخير رعاياك، كما أقسمت على ذلك، وأمّنتَ للجميع حريّة المُعْتَقَد. وإذا عملتُ من جهتي، مع التلاميذ الذين ارتضوا الانخراط في «أملي»، على إرشاد الأمم إلى «النور».

ـ وهل يمنعنا ذلك من أن نظلّ صديقيْن؟

ـ لقد كنتُ بالفعل صديقاً للملك (أرمينيا)، فلماذا لا أكون صديقاً لسيّد «الإمبراطورية»؟ وسوف نلتقي كلما شئتَ، بمفردنا كما في هذه الصبيحة، ونتحدث عن العالم و«حدائق النور» والرسم، وعن الطبّ والتناسق. غير أنني سوف أعود في اللحظة التي أغادر فيها القصر «رسولاً» ولا شيء غير ذلك، وتعود أنت ملكَ الملوك، وكلٌّ منّا في طريقه، بأسلحته الخاصّة وأعبائه الخاصّة.

عرفت ديانة «ماني» في الأشهر التي تلت أعظم انتشار مشهود عبر «الإمبراطورية» وفيما وراءها. فقد انضمّ عدد كبير من الفرسان والكهنة المعادين لمعتقدات «كردير» وناسٌ من جميع الطبقات إلى «المختارين» أو المريدين أو مجرّد المستمعين. ولم يَسْعَ «الرسول» إلى تفسير هذه الاندفاعة المفاجئة. فلقد أسهم فيها كثيراً تعاطُفُ «هرمز» البديهيُّ مُضاعَفاً بما يكنّه الناس من ودّ لعاهلهم الجديد الذي تكشّف عن إنسان رحيم من غير ضعف بدا أن وجوده على